ISLĀMIYYĀT 46(1) 2024: 187 - 194
(https://doi.org/10.17576/islamiyyat-2024-4601-15)

الخطاب الشعري حول "سرنديب" في الأدب العربي الحديث: محمود سامي البارودي أنموذجا

The Poetic Discourse on "Serendib" in Modern Arabic Literature: Mahmoud Sami Al-Baroudi as a Model

Mohammed Shareef Mohammed Hafees[1] & Rahmah Binti Ahmad H. Osman*[2]

[1]Zahriyya Arabic College, 71530 Hemmathagama, Sri Lanka,

[2]International Islamic University Malaysia, 53100 Gombak, Malaysia.

Corresponding Author; email: hafeezzahry@gmail.com

Received: 3 May 2023/Revised: 4 October 2023/Accepted: 27 December 2023

Publish:1 June 2024

ABSTRACT

This article examines the impacts of Sri Lanka on the poetry of Mahmoud Sami Al-Baroudi, who was exiled there for more than seventeen years (1882-1899 AD). While no study has been done to reveal the extent to which the poet's derivation from the Sri Lankan environment in his poetry, this research will attempt to clarify the poet's approach in introducing Sri Lanka, showing the aspects of its nature, and then to discuss his poems about the Sri Lankan people. In order to accomplish these goals, the inductive method was used to track the verses and poems that addressed topics related to Sri Lanka, and then the analytical approach was employed to study and analyse those verses and poems. The study discovered that the poet followed the approach of ancient poets in defining Sri Lanka by using the name "Serendib", which the Arabs called it in the past, rather than "Ceylon", which was an official name at the time. Similarly, the poet's admiration for Sri Lankan nature emerged, particularly the nature of "Kandy," where he lived for nearly ten years of his life, and from which he derived imagery and ideas for his poetic production, that is, in some of the poems in which he is nostalgic for Egypt, as well as in two independent poems. Concerning the Sri Lankan people, the researcher discovered only some poetic verses in which the poet criticised the negative aspects of some of the people's customs and cultures, as well as some of their moral and physical nature.

Keywords: Al-Baroudi; Serendib; Sri Lankan nature; Sri Lankan people

الملخص

يركز هذا المقال على دراسة أثر سريلانكا على الآثار الشعرية للشاعر محمود سامي البارودي الذي قضى أكثر من سبعة عشر عاماً عندما كان منفياً فيها (1882م-1899م)، وبينما لم يجد الباحث دراسةً تتناول هذا الجانب الذي يكشف عن مدى استمداد الشاعر من البيئة السريلانكية، فإنه سيبذل هنا جهدًا لتوضيح النهج الذي تبناه الشاعر في التعريف بسريلانكا، وبيان مظاهر الطبيعة السريلانكية التي استمدّ منها في صياغة أشعاره، ثم مناقشة أشعاره عن الشعب السريلانكي، ولتحقيق هذه الأهداف لجأ الباحث إلى استخدام المنهج الاستقرائي في تتبع الأبيات والقصائد التي عالجت موضوعات متعلقة بسريلانكا، ثم المنهج التحليلي لاستعراض تلك الأبيات والقصائد وتحليلها، ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة: أن الشاعر في تعريفه بسريلانكا انتهج نهج الشعراء القدماء حيث استخدم اسم "سرنديب" الذي أطلقه العرب عليها قديماً بدلاً من "سيلان" الذي كان اسما رسميا حينذاك، وكذلك برز إعجاب الشاعر بالطبيعة السريلانكية، ولا سيما طبيعة "كندي" التي عاش فيها قرابة عشر سنوات من عمره، حيث استمد منها أفكاره وصوره لنتاجه الشعري، منها القصيدة التي حنّ فيها إلى مصر، وأخرى في قصيدتين مستقلتين، وبالنسبة للشعب السريلانكي فلم يجد الباحث سوى أبياتٍ شعريةٍ نقد من خلالها الشاعر جوانب سلبية لبعض العادات والثقافات عند أهالي البلد، إضافة إلى تعييره لهم في جانب الطبيعة الخُلقية والجسمية.

الكلمات المفتاحية: البارودي؛ سرنديب؛ الطبيعة السريلانكية؛ الشعب السريلانكي

المقدمة

وُلِد الشاعر محمود سامي البارودي سنة 1839م، وعاش قرابة خمس وستين سنة، ويعتبر أول شخصية رئيسية في الشعر المصري الحديث، وكان مصدر إلهام لكثير من الشعراء بمصر وخارجها (Badawi 1971). وهو من أبرز الشعراء الوطنيين على صعيد مصر بعد رفاعة الطهطاوي الذي يعدّ من أكبر رواد الشعر العربي القرن العشرين (Hasif 2011). وتمثلت حياة البارودي في ثلاث مراحل؛ الأولى فترة شبابه التي قضاها بين رغدٍ ولغوٍ، إضافة إلى حياته العسكرية التي شارك خلالها في معمعة الحروب وقيادة الجنود، حيث سماها بعضهم بالمرحلة الوردية (Yūsuf 1994). وبالنسبة إلى آثاره الشعرية في هذه المرحلة، فكانت مزيجاً بين الجانب اللاهي الذي يدور حول الخمر والحب، وبين الجانب الجادّ المتمثل في النجدة والشجاعة والإقدام (Ḍaif 1988).

ثم المرحلة الثانية التي تمثلت بانخراطه في القضايا السياسية المصرية المضطربة رغبةً منه في تسديدها وإصلاحها، حيث قام مع الشعب المصري بمقاومة الحكومة الفاسدة التي قادها الخديوي إسماعيل، ثم الخديوي توفيق، وكذلك تولى الشاعر بعض المسؤوليات

وبالتالي حظيت بالعديد من الأسماء، وقد أطلق عليها الجغرافيون اليونانيون القدماء اسم تابروبان (Taprobane)؛ حيث يرى البعض أن هذا الاسم مأخوذ من تامبراباراني (Tampraparani) الذي يقع على الشاطئ المقابل للهند (Sinnatamby 1968)، وكذلك حصلت الجزيرة عند العرب على مكانة مرموقة حيث أطلقوا عليها اسم سرنديب (Serendib)، إلى جانب أنهم أشاروا إليها بجزيرة الياقوت كما أطلقه البلاذري (1987) الذي عاش في القرن التاسع الميلادي (820م-892م). ثم أطلق عليها البرتغاليون أيام استعمارهم اسم (Ceilão)، والتي تمت ترجمته إلى سيلان (Ceylon) في فترة الاستعمار البريطاني الإنجليزي الذي سيطر عليها ما بين عامي 1815م و1948م. لكن منذ سنة 1972م أصبح اسمها: "جمهورية سريلانكا الديمقراطية الاشتراكية" وهو الاسم الرسمي للدولة الآن (Khālidīn 2013).

أما سرنديب فهو أشهر اسم أطلقه العرب على سريلانكا، حيث يعتقد البعض أنه تم استخدام هذا الاسم في وقت مبكر من عام 361م، وفي فترة قصيرة اكتسب شعبية كبيرة في الغرب، وهو تحريف للكلمة السنسكريتية المركبة (Siṃhaladivīpa) التي تعني جزيرة الأسود، و(Siṃhala) بمعنى مسكن الأسود، (dvīpa) تعني الجزيرة، وقد استعار العرب هذا الاسم من الهنود الذين يتاجرون معهم (Peiris & Arasaratnam 2022) علما أن السنهاليين الأوائل أطلقوا على الجزيرة اسم "سنهلادويبا" (Siṃhaladvīpa) (Yogasundaram 2008). وهذا يعني أن كلمة "سرنديب" ليست من جذر عربي، بل هي مما أخذته العربية إلى معجمها من اللغة الأجنبية، وكذلك فهذا الاسم كان يتداوله العرب قبل ظهور الإسلام في جزيرة العرب.

وبالنسبة إلى الخطابات التي أدلى بها الشاعر البارودي حول سريلانكا في أشعاره، فقد توصلنا إلى استنتاج مفاده أن القصائد التي تناول فيها الشاعر جوانب وموضوعات ذات صلة بالجزيرة، هي ما نظمه أثناء إقامته فيها عندما كان منفيا هناك، وهذا يعني أنه لم يسجل أي نص شعري يتعلق بسريلانكا قبل وصوله أو بعد خروجه منها، لأن دلالة المعاني المستخرجة من النصوص الشعرية التي وقفنا عليها لها علاقة بإقامة الشاعر في الجزيرة، مما يثبت أن تلك النصوص نظمها الشاعر خلال وجوده فيها.

وعندما تتبعنا النصوص الشعرية التي تحدث فيها البارودي عن سريلانكا، اتضح لنا أنه استخدم كلمة "سرنديب" للإشارة إلى جزيرة (سريلانكا)، وهو اسمها القديم الذي أطلقه عليها العرب كما أسلفنا القول في ذلك. والفترة التي أقام الشاعر البارودي في سريلانكا هي ما بين 1882م - 1899م، حيث كان الاستعمار البريطاني يسيطر على أرجاء المعمورة في الدولة، والذي أطلق عليها اسم "سيلان" ترجمةً للكلمة البرتغالية (Ceilão)، لكن الشاعر اعتمد على كلمة "سرنديب" للإشارة إلى سريلانكا في قصائده، بدلا من الاسم الرسمي الذي كان شائعا بين الناس حينذاك، وهنا يمكن إثارة سؤال: لماذا فضّل الشاعر "سرنديب" على "سيلان"؟ يرى الباحث أن الشاعر البارودي من أكثر الشعراء عكوفًا على قراءة التراث العربي المجيد، وتمرُّسًا بأساليبه وتمثلاً بهم كما صرح بعضهم بذلك بقوله: "لا نعرف أحدا بين أبناء الجيل الذي تلاه قرأ أكثر مما قرأ من ديوان العرب واستفادت صياغته من هذه القراءة أكثر مما استفاده" (al-ʿAqqād 1937)، وبالتالي ازدادت عنده المعارضات، فبلغت سبعا وعشرين قصيدةً عارض فيها أربعة عشر شاعرا (Marashidah, 2009) مما كان مؤداه تفضيل اسم "سرنديب" للإشارة إلى سريلانكا، علمًا أن هذا الاسم هو الشائع لدى الشعراء القدماء، ولا سيما أولئك الذين عاشوا في العصر الذهبي للأدب العربي، حيث أشاروا إلى سريلانكا في أعمالهم الأدبية. نود أن نذكر بعض الأمثلة الشعرية القديمة حيث تم فيها استخدام كلمة "سرنديب"، وهي كما يلي:

السياسية حتى تم تشكيل الوزارة برئاسته سنة 1882م وهي ما يُسمى بوزارة الثورة، أو الوزارة الوطنية (al-Ḥudaidī 1990; Prakash 2020). وشعر البارودي في هذه المرحلة كان يدور حول الكشف عن مساوئ الفساد الساسي، وتحريض الشعب المصري ضد الحكومة، وتأسيس مجلس نيابي ودستور، وكذلك مقاومة الاستعمار الإنجليزي، مما دفع بعض الباحثين إلى تسمية هذه المرحلة بمرحلة الثورة، أو المرحلة الحمراء (Ḍaif 1988; Yūsuf 1994; Abdullah 2023). ومن هنا تتبين حقيقة ما اعتقده بعض الدراسين حول الشعر العربي الحديث أنه يتناول الحديث عن الصراعات السياسية بين الغرب والشرق (Zulkarnain 2000)، بجانب أن النضال من أجل تحرير البلد من الاستعمار الغاشم هو جزء من التعاليم الإسلامية (Yaacob 2007). فلما اختار الخديوي توفيق مصانعة الاستعمار الإنجليزي قويت سيطرتهم على البلاد المصرية، مما أخمد الثورة الوطنية، وأدت إلى نفي أبرز الزعماء الوطنيين إلى سريلانكا سنة 1882م، ومن ضمنهم شاعرنا البارودي، وأحمد عرابي (Ḍaif 1988).

وأما المرحلة الثالثة فتتمثل في إقامته بالمنفى ما بين 1882م إلى 1899م، ثم السنوات الأخيرة من حياته حتى انتقل إلى جوار ربه سنة 1904م، وقد عانى في هذه المرحلة معاناة شديدة نتيجة لفراقه الوطن والأهل والأصدقاء، ولهذا فهي تعد من أشد المراحل وأمرّها عليه حتى أطلق عليها البعض المرحلة الرمادية (Yūsuf 1994)، وقد عاش الشاعر البارودي مع رفقائه المنفيين في (كولومبو) سبع سنوات، فلما سيطرت الشحناء بينهم، ودفع كل منهم عن نفسه التبعة التي حلت به، وألقاها على غيره، انتقل الشاعر إلى (كَندي -Kandy) فقضى هناك سنواته الأخيرة البالغة عشر سنوات، وحاول خلالها تعلم اللغة الإنجليزية كما علّم الشعب السريلانكي اللغة العربية وأيضا الدين الإسلامي (Haikal 1998). وكان ينشغل أثناء إقامته هناك في نظم قصائد الحنين إلى وطنه بكثرة، كما صاغ قصائد المرثيات لزوجته وابنته وأصدقائه، إلى جانب القصائد التي استذكر فيها الثورة العرابية الوطنية. ثم لما عاد إلى مصر لزم بيته فكان لا يخالط إلا أهله وأصدقائه المخلصين، وكان يعكف على تنقيح ديوانه (Suwailim 1997; Hafees & Rahma 2023)

ويرى الباحث أن هناك فجوة علمية في ميدان الدراسات الأدبية حول بيان أثر سريلانكا -التي عاش فيها الشاعر قرابة سبعة عشر سنة- على الأشعار التي احتوى عليها ديوان الشاعر البارودي، إذ إن الشاعر رهن البيئة؛ حيث تؤثر على إنتاجاته الحالة البيئية التي يعيش فيها، وبناءً على ذلك يسعى الباحث من خلال هذا المقال إلى إبراز الخطابات التي أدلى بها الشاعر حول هذا البلد وطبيعته وأهله.

منهجية البحث

يعتمد الباحث في هذه الدراسة للوصول إلى الأهداف المنشودة على منهجين: المنهج الاستقرائي لتتبع الأبيات الشعرية والقصائد التي تحدث فيها الشاعر البارودي عن سريلانكا سواءً عن طبيعتها، أو عن أهلها، ثم المنهج التحليلي بهدف تحليل تلك الأبيات والقصائد تحليلا يكشف عن مدى استمداد الشاعر من البيئة السريلانكية في إنتاجاته الشعرية.

المناقشة والنتائج

1) "سرنديب" في ديوان البارودي

سريلانكا جزيرة تقع جنوب الهند في جنوب قارة آسيا، وتتشرف بأنها لؤلؤة المحيط الهندي، وبفضل موقعها الجغرافي في ملتقى الطرق البحرية الرئيسة ذاع صيتها بين بلدان العالم قديماً (Nizami 1994)،

نَزَعْتُ بِهَا عَنِّي ثِيَابَ الْعَلائِقِ

إنَّ **سَرَنْدِيبَ** عَلَى حُسْنِهَا

يَسْكُنُهَا قَوْمٌ قِبَاحُ الْوُجُوهْ

وهذه النصوص الشعرية السابقة وجدناها في قصائد مختلفة حيث وردت فيها كلمة «سرنديب» وقد جعلناها في أربع مجموعات واضحة التقسيم، فنلاحظ أن الشطر الأول لكل البيتين أو الأبيات الشعرية في المجموعة الثلاثة الأولى سيطرت عليه ظاهرة التناصّ (Intertextuality) تركيبيا ومعنويا حيث ذهب النقاد إلى أن التناص يتم على مستويين: الشكل والمضمون (Najāḥ 2012). علاوة على ذلك، نرى أن الشاعر اختار نفس الوزن في صياغة تلك الأبيات المتضمنة في كل مجموعة، حيث بنى المجموعة الأولى على بحر الخفيف، والثانيةَ على بحر الطويل، والثالثةَ على البحر البسيط، وذلك مما يحقق الانسجام الدلالي بين النصوص التي حاول من خلالها الكشف عن معاناته ووحشته في حياته بالمنفى، كما أن هذا يدعم ما قلناه من أن الشاعر وجد مساحة تعبيرية من خلال ترديد كلمة "سرنديب" لإبداء تبرمه من إقامته في سريلانكا.

وفيما يتعلق بالبيتين في المجموعة الرابعة، فلم تصحبهما ظاهرة التناص، حيث إن أولهما جاء على البحر الطويل من منبع إظهار الوحشة والغربة، وثانيهما تمت صياغته على البحر السريع، والذي يحمل في طياته وصفًا للشعب السريلانكي، وطبيعة أرضه.

وتجدر الإشارة أيضًا إلى أنه باستثناء النص الأخير الذي اعتمد فيه الشاعر على وصف شعب سريلانكا، فقد جاءت النصوص على أحد البحور الشعرية الثلاثة: الطويل، والبسيط، والخفيف، وأصبحت تتلاءم مع الانفعالات والعواطف الحزينة لدى الشاعر، إذ الأول أكثر البحور طولا، والشاعر العربي في حالة الحزن والجزع، يعتمد على وزن طويلٍ له المقاطع الكثيرة حتى يتمكن من صب مأساته وأحزانه فيه لكي ينفس عنه حزنه وجزعه (Anīs 1952)، وكذلك البحر البسيط الذي يعدّ من أحد البحور التي كثر استعمالها في الشعر (Azman 2021)، والذي عدّه البعض من النوع الباكي، الذي يتساير مع ما يغلب عليه التحسر على الماضي، وعنصر الحنين والبكاء على الأوطان المسلوبة (al-Ṭayyib 1989)، والخفيف أيضا والذي يصلح لحمل العواطف الهادئة الرزينة، لما أنه يبدو كثير البطء، وذلك بسبب الانقطاع في تسلسل الإيقاع الموسيقي نتيجة تدخل التفعيلة (مستفعلن) بين التفعيلتين (فاعلاتن)؛ ويزيد في البطء عندما يتم حذف الحرف الثاني الساكن (al-Nuwaihi n.d).

أما بالنسبة للأماكن في سريلانكا التي اختص الشاعر بذكرها في ثنايا أشعاره، فقد لاحظنا أنه يذكر "كَندي" (Kandy) التي تعدّ عاصمة المحافظة الوسطى (Central Province)، وعرفها المسلمون باسم "الخندق" (Ḥusain 1987, p. 388)، ولعلّ ذلك اعتبارا بالخندق المائي، وهو البحيرة الاصطناعية التي تقع في قلب مدينة كندي، حيث بناها الملك "سري ويكراما راجسينغي" (Sri Wickrama Rajasinghe) سنة 1807م، والتي تحرس قصر الملك ومعبد بقايا السن (Temple of the Tooth). وفي هذه المدينة، قضى البارودي السنوات الأخيرة من حياته في المنفى، حيث أقام فيها عشر سنوات، وإليها أشار بقوله الآتي (al-Baroudi 1998, p. 707):

طالَ شَوْقي إلى الدِّيارِ ولكن

أينَ مِن (مصرَ) مَنْ أقامَ بـِ (**كَنْدِيْ**)

ومن اللافت للنظر أن النص السابق تم نقشه تحت صورة محمود سامي البارودي، وذلك في متحف عرابي الذي يقع في مدينة كندي، وهو المعروف باسمه الرسمي "مركز عرابي باشا الثقافي"، وفيه

أَمطِري لُؤلُؤاً جِبالَ **سَرَنديـ**

بَ وَفيضي آبارُ تَكرورَ تِبر

(al-Shafi'i, 1985, p. 67)

لي القوتُ فليَعمُر **سرنْدِيبَ** حَظُّها

من الدُّرِّ أو يكثر بِغانةَ تِبْرُه

(al-Ma'arri, p. 305)

البيت الأول من القصيدة بعنوان "أمطري لؤلؤً" للإمام الشافعي (767م-820م)، والثاني من إحدى قصائد أبي العلاء المعري (973م-1057م) على قافية الراء، حيث تناول الشاعران كلمة سرنديب لإفادة نفس المعنى إذ تسير على البيتين ظاهرة التناص، لما أن معناهما يدور حول موقف الشاعرين من القناعة بالقوت الضروري مما يكفل للنفس عزتها، ويشير كلا النصين إلى أن "سرنديب" تعد أكثر مصادر الياقوت واللآلئ شهرةً في العالم، وفي هذا دلالة على أن الشاعر البارودي يعد أكثر التزامًا في الحفاظ على التراث العربي، ولهذا اختار كلمة "سرنديب" بدلاً من اسم "سيلان"، وهو الاسم الرسمي للدولة عندما منفيا هناك.

وقد توصلنا أيضا إلى أن الاسم "سرنديب" ورد تسع مرات في ديوان الشاعر (al-Baroudi 1998, p. 624, 67, 163, 171, 341, 370, 449, 386, 707)، حيث عالج فيها غربته ووحشته في منفاه، وهمومه وحنينه إلى وطنه، إلا في نص واحد استعرض فيه الشاعر سريلانكا وأهلها وطبيعتها (al-Baroudi 1998, p. 707)، مما يشير إلى أن الشاعر عمد إلى ترديد كلمة "سرنديب" كمحاولةٍ منه للكشف عن معاناته وغربته التي ذاق مرارتها في سريلانكا حتى عافت نفسه عن الإقامة فيها. ونريد تسليط الضوء على تلك النصوص بقصد التعليق عليها من جهة الخصائص والجوانب الفنية، وهي كما يلي:

يَا نَدِيمَيَّ فِي **سَرَنْدِيبَ** كُفَّا

عَنْ مَلامِي فَلَيْسَ يُغْنِي الْمَلامُ

يَا نَدِيمَيَّ من **سَرَنْدِيبَ** كُفَّا

عن مَلامِي وخلّياني لما بي

******

أَبِيتُ عَلِيلاً في **سَرَنْدِيبَ** سَاهِرَاً

أُعَالِجُ مَا أَلْقَاهُ مِنْ لَوْعَتِي وَحْدِي

ارِاسَ **بَـيِدِنْرَسَ** يـفِ أَنـيِزـحَ تُـيـبـاً

طِــوَالَ اللَّيَــالِي وَالْخَــلِيُّونَ هُــجَّدُ

****

لا فِي **سَرَنْدِيبَ** خِلٌّ أَسْتَعِينُ بِهِ

عَلَى الْهُمومِ إِذَا هَاجَتْ وَلا رَاعِي

لا في **سرنديب** خلٌّ أَلُوذُ بهِ

ولا أَنيسٌ سوى همّي وإطْراقِي

لا في **سرنديب** إِلْفٌ أَجَاذِبُه

فَضْل الحَدِيْث ولا خلٌ فيَرْعى لي

****

كَفَى بِمُقَامِي فِي **سَرَنْدِيبَ** غُرْبَةً

وتحركه بسبب شدة بردها، بجانب وصفه لقطرات المطر الباردة التي تكسو جسده الذي شبهه بالثوب البالي لخفته وضعفه.

ومن أهم وجهات السياحة في سريلانكا وخاصة في المحافظة الوسطى الشلالاتُ، وكذلك الأوشال؛ وهي المياه التي تسيل في أعراض الجبال، والشاعر الذي عاش في هذه البيئة الماتعة لم يفته تسجيل تلك المناظر الجميلة في شعره، بل ذكرها كما يتضح في البيت الثالث، حيث وصف الغيوم في السماء بأنها سقوف مظلة، ثم صوّر الشلالات بأنها السيول في الفضاء تتدفق منها المياه بين الجبال. وفي البيتين الرابع والخامس، رسم صورة بديعةً لمنظر قوس الغمام (rainbow of clouds) الذي شاهده هناك، إذ وصفه بأنه مثل القنطرة المعقودة في الفضاء؛ وهي الجسر المتقوس المبني فوق نهر وغيره حتى يعبر عليه، وأشعة الشمس المنعكسة وراء قوس الغمام أبدت ألوانا وأشكالا بديعة.

وقد تمكنا أيضاً من الاطلاع على الأبيات الشعرية الآتية التي تقّدم وصفا أكثر دقةً للطبيعة والمناخ والجوّ في منطقة كندي، وهي ضمن القصيدة البالغة١٣ بيتا، والتي صاغها الشاعر على البحر البسيط وقافية العين، متشوقا إلى وطنه وراجيا العودة السريعة إليه (al-Baroudi 1998, p. 341).

أَبِيتُ فِي قُنَّةٍ قَنْوَاءَ قَدْ بَلَغَتْ

هَامَ السِّمَاكِ وَفَاتَتْهُ بِأَبْوَاعِ

يَسْتَقْبِلُ الْمُزْنُ لِيَتَيْهَا بِوَابِلِهِ

وَتَصْدِمُ الرِّيحُ جَنْبَيْهَا بِزَعْزَاعِ

يَظَلُّ شِمْرَاخُهَا يَبْساً وَأَسْفَلُهَا

مُكَلَّلاً بِالنَّدَى يَرْعَى بِهِ الرَّاعِي

إِذَا الْبُرُوقُ ازْمَهَرَّتْ خِلْتَ ذِرْوَتَهَا

شَهْماً تَدَرَّعَ مِنْ تِبْرٍ بِأَدْرَاعِ

تَكَادُ تَلْمِسُ مِنْهَا الشَّمْسَ دَانِيَةً

وَتَحْبِسُ الْبَدْرَ عَنْ سَيْرٍ وَإِقْلاعِ

تقع مدينة كندي على قمة مرتفعة، وقد أبدع الشاعر في وصفها حيث قال إنها جبل ارتفع وفاق النجومَ، ويسقط عليها المطر الكثير، وتمر بها الرياح الشديدة، ثم وصف سلاسل الجبال التي تحيط بكندي بأن أعاليها تظلُّ جافةً، وأسفلها خصب ينتشر به الندى حيث ترعى فيه المواشي. وفي البيتين الأخيرين تناول الشاعر وصفا دقيقا وممتعا لكندي عند البرق، حيث شبه ذروة الجبل إذا لمع فيها البرق بمُحَاربٍ جلدٍ شجاعٍ لبس دروعاً من الذهب، مما يخطف الأبصار كأن الشمس دانية من أعلى الجبل، ويحبس البدر عن تحوله وانتقاله.

وكذلك النص الآتي من إحدى القصائد التي أبزر فيها الشاعر حنينه إلى وطنه، حيث تناول فيه مناخ كندي الذي يكثر فيه المطر، علما أنه من الأماكن التي يكثر فيها هطول الأمطار (al-Baroudi 1998, p. 291).

أرى الغيث عمّ الأرض من كل جانب

وموضع رحلي لم يصبه رشاش

ما سبق من نماذج هي ما وجدناها في وصف الشاعر البارودي لطبيعة سريلانكا، وذلك ضمن القصائد التي نظمها تعبيرا عن حنينه لمصر. علاوة على ذلك، وجدنا قصيدتين مستقلتين عالج فيهما المناطق الطبيعية في سريلانكا، مما يدلّ على إعجابه بهذه الوجهات الساحرة. وعلى هذا، نجد القصيدة التي صبّتها أقلام الشاعر في مقتنيات ووثائق ولقطات تتحدث عن حياة عرابي ورفاقه المنفيين من مصر إلى سريلانكا، حيث يعود تاريخ تأسيسه إلى عام 1982م (Ismāʿīl 2014). ومن الملاحظ أن كلمة "كندي" هنا تتساير مع كلمة "سرنديب" - في أغلب تواترها - من جهة أن الشاعر ذهب إلى ذكرهما في معرض التشوق والحنين إلى وطنه، ومتبرما من إقامته في سريلانكا.

2) معالم طبيعية بسريلانكا في ديوان البارودي

تعتبر جزيرة سريلانكا على مدى العصور كواحدة من أرقى جزر العالم، فهي دولة ذات إرث حضاري عريق، إلى جانب أنها في مقدمة الدول التي تمتلك طابعًا جماليًا بديعًا يجذب أنظار الزوّار وعواطفهم، وبصفة خاصة منطقة كَنْدِيْ، والتي تعد من أهم وجهات السياحة بسريلانكا لغناها بالمناطق الطبيعية الساحرة، والشاعر البارودي الذي عاش في هذه الطبيعة الماتعة والرائعة اندفع إلى التقاط مناظرها الجميلة في قصائده التي نظمها تارةً ضمن بعض القصائد التي حنّ فيها إلى موطنه، وتارة في بعض قصائد مستقلة، علماً أن وصف الطبيعة من أهم أغراض الشعر العربي منذ عصوره القديمة.

ومن أهم ما توصلنا إليه من خلال قراءتنا لقصائد البارودي أنه قليلا ما تناول سريلانكا سواءً طبيعتها أو شعبها على الرغم من أنه قضى فيها سبع عشرة عامًا، ولعلّ ذلك يعود إلى أنه صاحَبَه الحنينُ الجارف إلى وطنه، وشدة تشوقه إلى أهله وأحبابه، وبالتالي كان أكثر اهتمامه تأليف القصيدة التي سكب فيها ما نفَّس عنه أحزانه ومأساته، حتى صار شعر الحنين لديه أفضل ما نظمه في حياته الشعرية (Narkas & Mazīdī 2013, p. 30).

وقد اخترنا هنا بعض النصوص التي تصف المظاهر الطبيعية بسريلانكا، والتي أوردها الشاعر ضمن قصائده التي حن فيها إلى وطنه على نحو ما نلاحظ في الأبيات التالية، وهي من بين قصيدته المتكونة من 50 بيتا على البحر البسيط وقافية اللام، والتي عالج فيها همومه ومعاناته في المنفى، إلى جانب ذكرياته في الثورة العرابية (al-Baroudi 1998, p. 450).

أَبِيتُ مُنْفَرِداً فِي رَأْسِ شَاهِقَةٍ

مِثْلَ الْقَطَامِيِّ فَوْقَ الْمِرْبَإِ الْعَالِي

تَهْفُو بِيَ الرِّيحُ أَحْيَاناً وَيَلْحَفُنِي

لِامَسْأَ مُنْ مِرْبُبِ لِالطِّلا دُرْبَ

فَفِي السَّمَاءِ غُيُومٌ ذَاتُ أَرْوِقَةٍ

وَفِي الْفَضَاءِ سُيُولٌ ذَاتُ أَوْشَالِ

كَأَنَّ قَوْسَ الْغَمَامِ الْغُرِّ قَنْطَرَةٌ

مَعْقُودَةٌ فَوْقَ طَامِي الْمَاءِ سَيَّالِ

إِذَا الشُّعَاعُ تَرَاءَى خَلْفَهَا نَشَرَتْ

بَدَائِعاً ذَاتَ أَلْوَانٍ وَأَشْكَالِ

أعطى الشاعر البارودي الصفات الطبيعية التي شاهدها في كَنْدِيْ في النصوص السابقة. وهي مدينة تقع على ارتفاع 465 مترًا فوق مستوى سطح البحر، وقد وصفها بالمربأ؛ أي المكان المرتفع الذي يقف فيه المراقب حتى يرقب تحركات العدوّ، كما وصف نفسه التي تراقب وترجو انفراج أزمته وزوال شدته مثل الصقر حديد البصر الذي يرقب الصيد. ويتميز الطقس في كاندي بأنه بارد ورطب تشتد فيه البرودة ليلا، كما أنها واحدة من الأماكن التي بها أعلى متوسط هطول للأمطار في سريلانكا، وفي البيت الثاني نجد أن الشاعر أتقن في وصف الرياح الباردة بكَنْدِي، والتي كانت تهزه

ومن أبرز الأماكن الطبيعية التي تضمُّها كندي حديقةُ بيْرادَنْيَا، وهي من أشهر الحدائق النباتية في البلاد، وأجملها وأكثرها زيارةً، واسمها الرسمي الآن "Royal Botanica Gardens, Peradeniya" وتقع حوالي 5.5 كم إلى الغرب من مدينة كاندي بالقرب من نهر ماهاويلي (Mahaweli River) أطول نهر في سريلانكا. وقد تم إنشاء الحديقة لأول مرة في عام 1371م، ولكن لم يتم ترميمها وتحويلها إلى حديقة نباتية إلا في عهد الاستعمار الإنجليزي (Royal Botanical Gardens, Peradeniya 2022). وما يهمنا في هذا الصدد هو أن الشاعر البارودي لم يزر هذه الحديقة الخلابة والساحرة فحسب، بل سجلها أيضًا في إحدى قصائده التي تتكون من 15 بيتًا على البحر البسيط، فنودّ الإشارة إلى بعض أبياتها الشعرية لتسليط الضوء على مدى إعجاب الشاعر بهذه الوِجهة السياحية الفاتنة (al-Baroudi 1998, p. 702):

وَمَسْرَحٍ لِسِوَامِ الْعَيْنِ لَيْسَ لَهُ
فِي عَالَمِ الظَّنِّ تَقْدِيرٌ وَلا شَبَهُ

بَاكَرْتُهُ سُحْرَةً وَالشَّمْسُ نَاعِسَةٌ
فِي خِدْرِهَا وَحَمَامُ الأَيْكِ مُنْتَبِهُ

وَلِلْغَمَائِمِ بَيْنَ الأُفْقِ مُنْسَحَبٌ
وَلِلنَّسَائِمِ نَحْوَ الرَّوْضِ مُتَّجَهُ

وَالْجَوُّ فِي حُلَّةٍ دَكْنَاءَ مَازَجَهَا
خَيْطٌ مِنَ الْفَجْرِ يَبْدُو ثُمَّ يَشْتَبِهُ

فَالنُّورُ مُنْقَبِضٌ وَالظِّلُّ مُنْبَسِطٌ
وَالطَّيْرُ مُنْشَرِحٌ وَالْجَوُّ مُدَّلِهُ

بدأ الشاعر بوصف مساحات خضراء تتمتع بها العيون، ليس لها نظير ولا تقدير ولو في عالم الخيال، ثم ذكر بأنه سارع إلى هذه الروضة بعد انبلاج الفجر وانتباه الطيور، وقبيل طلوع الشمس وامتداد النهار، حينذاك كانت الغمائم في الأفق تتحرك، والريح اللطيفة الطيبة تتجه إلى تلك الحديقة، وما زالت ظلمة الليل يخالطها الضوء عند طلوع النهار. والبيت الخامس تم تقسيمه تقسيماً وزنيا على أربعة أقسام، مما تمكن خلالها الشاعر من إمداد البيت الشعري بإيقاع متميز وثراء دلالي، وقد أشار إلى بعض مظاهر الجمال الطبيعي في تلك الحديقة، فأشجارها كثيفة ملتفة ذات ظل ممدود منبسط، وضوء الشمس فيها كان محدودا منقبضا، وجوها أصبح بين الظل المكثف وضياء الشمس، وطيورها في ارتياح وبهجة وانشراح.

مَنَاظِرٌ لَوْ رَأَى بَهْزَادُ صُورَتَهَا
لاعْتَادَهُ مِنْ تَمَادِي الْحَيْرَةِ الْبَلَهُ

كَأَنَّمَا الدَّوْحُ قَصْرٌ وَالْحَمَامُ بِهِ
سِرْبٌ مِنَ الْغِيدِ بِالأَلْحَانِ تَبْتَدِهُ

طَوْرَاً تُغَنِّي وَأَحْيَانَاً تَنُوحُ فَمَا
ذَاكَ الْغِنَا وَهَذَا النَّوْحُ وَالْوَلَهُ

كَأَنَّمَا الأَوْرَقُ الْغِرِّيدُ حِينَ شَدَا
فِي سُرْبَةِ الإِنْسِ مِنْهَا شَارِبٌ فَكِهُ

ثم أدى إعجاب الشاعر بالروضة إلى القول بأن مناظرها الجميلة الساحرة تثير الحيرة لدى الزائرين، وتُذهِل كمالَ الدين وصف روضةٍ كثيرة الأشجار غزيرة المياه بكَنْدِي، حيث كان يقيم مع أصدقائه المخلصين له في تلك الروضة التي امتازت بطبيعتها الساحرة، وقد استراحوا جميعا في تلك البيئة الخلابة، حتى اعتقدوا أن نزولهم في تلك الروضة يعد أبرز حادثةٍ تُطبَع في حياتهم، ثم طلب الأصدقاء من الشاعر تسجيل ذكرياتهم في أبيات شعرية - كما ذكره الشاعر في نهاية القصيدة – وبالتالي قام بنظم هذه القصيدة في22 بيتا على البحر الطويل. ونختار هنا نصوصًا شعريةٍ بقصد تحليلها والتعليق عليها، مما يكشف عن إعجاب الشاعر بالطبيعة الخصبة في سريلانكا (al-Baroudi 1998, p. 373).

دَعَانِي إِلَى غَيِّ الصِّبَا بَعْدَ مَا مَضَى
مَكَانٌ كَفِرْدَوْسِ الْجِنَانِ أَنِيقُ

فَسِيحُ مَجَالِ الْعَينِ أَمَّا غَدِيرُهُ
فَطَامٍ وَأَمَّا غُصْنُهُ فَرَشِيقُ

كَسَا أَرْضَهُ ثَوْباً مِنَ الظِّلِّ بَاسِقٌ
مِنَ الأَيْكِ فَيْنَانُ السَّرَاةِ وَرِيقُ

سَمَتْ صُعُداً أَفْنَانُهُ فَكَأَنَّمَا
لَهَا عِنْدَ إِحْدَى النَّيِّرَاتِ عَشِيقُ

يَمُدُّ شُعَاعُ الشَّمْسِ فِي حَجَرَاتِهَا
سَلاسِلَ مِنْ نُورٍ لَهُنَّ بَرِيقُ

علا بالشاعر البارودي إعجابه بتلك الروضة الجذابة إلى وصفها بأنها فردوس الجنان أي خير جنات العالم وأجمل بساتينه، وكانت الروضة واسعةً ممتدةً على مد البصر، وغديرُها ممتلئًا بالماء الصافي، وأشجارها طويلة القامة، وفيها أشجار عظيمة ملتفة ذات أفنان وأغصان وأوراق كثيرة، وظلالها تسقط على الروضة كأنما غطتها بثوب، وأشجارها استقامت أغصانها وزاد علوّها كأنها وصلت إلى السماء لتلتقي بأحد النجوم التي أحبها وعشقتها، وتنتشر حول الأشجار ونواحيها سلاسل من أشعة الشمس مثل النور المتلألئ

وَيَشْدُو بِهَا الْقُمْرِيُّ حَتَّى كَأَنَّهُ
أَخُو صَبْوَةٍ أَوْ دَبَّ فِيهِ رَحِيقُ

تَمُرُّ طُيُورُ المَاءِ فِيها عَصَائِباً
كَرَكْبٍ عِجَالٍ ضَمَّهُنَّ طَرِيقُ

إِذَا أَبْصَرَتْ زُرْقَ الْمَوَارِدِ رَفْرَفَتْ
عَلَيْهَا قَطَافٍ فَوْقَهَا وَغَرِيقُ

وَلِلطَّيرِ فِي مَهْدِ الأَرَاكَةِ رَنَّةٌ
وَلِلظِّلِّ فِي ثَغْرِ الأَقَاحَةِ رِيقُ

إن التدقيق في تراث الأدب العربي يكشف أن جزءاً كبيراً من محتواه ومفرداته وأمثاله كان مستوحى من الحيوانات (Abu Bakr 2008)، كما أبدع الشاعر البارودي في وصف الطيور التي زادت الروضة جمالا ورونقا، حيث صور الحمام المطوّق جميل التطريب والتغريد، وكأنه العاشق الهائم أو تسرب في عروقه أفضل الخمر وهو الرحيق، ووصف الطيور التي تمر بالروضة جماعاتٍ وكأنها ركب الأبقار الصغار التي تمشي مع بعضها البعض، ثم عندما ترى تلك الطيورُ ماءً صافياً، تندفع إليه حتى تطفو فوقه أو تغرق فيه. ثم الأبيات التالية تتحدث عن الذكريات الجميلة للشاعر مع أصدقائه في تلك الروضة الرائعة.

كان يعيب تلك العادة بتشبيه ما رشّ من اللعاب الأحمر في جانبي الفم بجريان الماء من البئر التي لم يتم بناء جدرانها بعدُ.

ثم وجدنا أن الشاعر البارودي يعيب الشعب السريلانكي على قلة اهتمامه ببعض الثقافات المتعلقة باللباس وغيره من جوانب التحسينات في ذلك العصر، كما يلقانا به في النصوص الآتية (al-Baroudi, 1998, pp. 334, 655):

حُفَاةٌ عُرَاةٌ غَيْرَ أَخْلاقِ صُدْرَةٍ

تَطِيرُ كَنَسْجِ الْعَنْكَبُوتِ الْمُسَدَّفِ

شُعْثٌ عُرَاةٌ كَأَنَّهُمْ خَرَجُوا

مِنْ نَفَقِ الأَرْضِ بَعْدَ مَا دُفِنُو

عاب الشاعر مَن لا ينتعل مِن أهل سريلانكا؛ لأنهم كانوا لا يهتمون بالنعال، وكذلك عيّر ملابسهم شبه العارية، فمرةً شبهها بنسج العنكبوت التي يمكن من خلالها رؤية ما بداخلها، ومرة أخرى كان يعيبهم على ارتدائهم الملابس البالية وكأنهم خرجوا مِن القبور بعد ما تم دفنهم، إلى جانب لومه لهم على عدم اهتمامهم بتسريح الشعر وتصفيفه.

وقد عانى الشاعر البارودي من الوحشة في منفاه، وازدادت غربته مع ما لقاه من معوّقاتٍ في مخاطبة الشعب السريلانكي بسبب الفارق اللغوي بينه وبينهم، فكان لا يعرف إلا اللغة العربية، إلى جانب أنه بدأ في تعلم اللغة الإنجليزية حينما أقام في كندي (Haikal 1998)، حيث كانت اللغة السنهالية لغة الأمة الأغلبية البوذية، والتاميلية لغة الأم لدى الأقلية المسلمة، وبعضهم كانوا متمكنين في اللغة الإنجليزية، مما دفعه إلى تسجيل هذه الغربة في النصوص الشعرية الآتية، إذ شبّه كلامهم الأعجمي بصوت الجرس الذي يُسمع في الصحراء ليلا، وهو ما يزعمه العرب بأنه صوت الجن، كما عيّرهم على قلة درايتهم للكلام، وقلة فهمهم له (al-Baroudi 1998, pp. 344, 655).

إِذَا رَاطَنُوا بَعْضَاً سَمِعْتَ لِصَوْتِهِمْ

عَزِيفاً كَجِنٍّ فِي الْمَفَاوِزِ هُتَّفِ

لا يُحْسِنُونَ الْمَقَالَ إِنْ نَطَقُوا

جَهْلاً وَلا يَفْقَهُونَ إِنْ أَذِنُو

يشكل البوذيون أغلبية السكان في سريلانكا، وهم عُبَّاد أصنام حيث بنوا معابدهم في أنحاء البلاد لأداء عبادتهم، وقد تضايق البارودي من ذلك الأمر المخالف للعقيدة الإسلامية، حيث أشار في بعض النصوص إلى نفوره منهم، كما نجده في البيت الآتي (al-Baroudi 1998, p. 344):

وَلَكِنَّنِي أَصْبَحْتُ فِي دَارِ غُرْبَةٍ

مُقِيماً لَدَى قَوْمٍ عَلَى الْبُدِّ عُكَّفِ

عندما اشتد شوق البارودي إلى الوطن والأهل والأحباب، وازدادت الوحشة التي عانى منها في المنفى، حتى شعر بضيق الإقامة عند الشعب السريلانكي، اندفع إلى وصفهم وصفا يطعن في أوصافهم الخِلقية (al-Baroudi 1998, pp. 707, 171, 708).

إِنَّ سَرَنْدِيبَ عَلَى حُسْنِهَا

يَسْكُنُهَا قَوْمٌ قِبَاحُ الْوُجُوهْ

وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ أَعِيشَ بِغُرْبَةٍ

يُعَلِّلُنِي فِيهَا خُوَيْدِمُ أَسْوَدُ

بهزاد (1440م-1522م) إذا زارها، وهو الذي امتازت صوره بالتلوين المحكم، والحيوية المنبعثة من أشكاله وألوانه المضيئة، علما أن الشاعر ذهب إلى ذكر هذه الشخصية عندما وصف مظاهر الطبيعة المصرية، حيث قال: إذا قام بهزاد بتصوير ما في نفسه من صور مصر ومظاهرها الطبيعية لتصورت في أحسن صورة (al-Baroudi 1998 p. 389). ثم وصف الشاعر سرب الحمام الذي يسكن في الأشجار العظيمة هناك، ويغني ألحانا تشبه الأغنية التي تبعث السرور والفرح، وأحيانًا تشبه النواح، وكأنها النساء الناعمات التي تتثني في نعومةٍ ولينٍ، كما شبه الشاعرُ الطائرَ الرمادي اللون الذي كان يغني بشارب خمر كثير المزاح والدعابة. وفي الأبيات الأخيرة للقصيدة ذهب الشاعر إلى الإشادة بجماعةٍ من صحبه وخلصائه.

3) الشعب السريلانكي في ديوان البارودي

بالنسبة إلى الخطابات المتعلقة بأهل سريلانكا في ديوان البارودي، فقد وجدنا أنه يتناول جوانب سلبية – على حسب رأيه - لبعض الأمور أو العادات التي كانت لديهم في ذلك الحين، إلى جانب تسجيل بعض النصوص في ذم طبيعتهم الخُلقية وصورهم الخِلقية، بينما لم يسجل في ديوانه – على حسب قراءتنا - ما يشيد بأهل سريلانكا أو عاداتهم وتقاليدهم، مما يدلّ على تبرمه من إقامته معهم، وتوقه الشديد في العودة إلى موطنه، علماً بأن النصوص التي ذهب فيها الشاعر إلى هذه الناحية كانت من ضمن القصائد التي عبّر فيها عن شوقه وحنينه إلى مصر، إذ أحاطته المعاناة والشدائد كما اشتد عليه المرض مما دفعه إلى العزلة عن الشعب السريلانكي، والتبرم من إقامته معهم، على عكس أحمد عرابي الذي يعد من أبرز رفقائه المنفيين، والذي كان يختلط ويصاحب الشعب السريلانكي، ولا سيما الزعماء المسلمين مثل محمد قاسم ستي لبى (Muhammad Cassim Siddi Lebbe 1838 –1898)، وابتشي ماريكار (Wapchie Marikar Abdul Rahman 1868 – 1939) وغيرهم، حيث شاركهم في النهضة العلمية، وساهم في الارتقاء بمسلمي سريلانكا (Khālidīn 2013).

ويعد مضغ التبغ من أبرز عادات الشعب السريلانكي، وخاصة كبار السن منهم، وهذا الفعل في الحقيقة لم يعجب الشاعر البارودي، ولهذا انتقدها نقداً لاذعا في بضعٍ من النصوص الشعرية على نحو ما نلاحظه فيما يأتي (al-Baroudi 1998, pp. 344, 655, 707):

يَمُجُّونَ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ رَشْحَ مُضْغَةٍ

كَنَضْحِ دَمٍ يَنْهَلُّ مِنْ أَنْفِ مُرْعَفِ

مِنْ كُلِّ فَظٍّ يَلُوكُ فِي فَمِهِ

مُضْغَةَ سُوءٍ مِزَاجُهَا عَفِنُ

يَنْضَحُ شِدْقَاهُ بِالرُّوَالِ كَمَا

عُلَّ بِنَضْحِ الْعَتِيرَةِ الْوَتَنُ

مِنْ كُلِّ فَدْمٍ لائِكٍ مُضْغَةً

يَمُجُّهَا كَالدَّمِ فِي الأَرْضِ فُوهْ

تَحْسَبُهُ مِنْ نَضْحِ أَشْدَاقِهِ

رَكِيَّةً تَجْرِي دَمَاً أَوْ تَمُوهْ

يتبين من الأبيات السابقة أن الشاعر ذم هذه العادة حيث شبه تارةً ما يمجونه من اللعاب بدم المرعِف وهو مَن أصيب بخروج الدم من أنفه، وتارة أخرى يرى مضغ التبغ عادة سيئة حيث شبه ما يسيل من اللعاب الأحمر على جانبي الفم مما تحت الخدين بدم الذبيحة الذي يسيل على الأصنام التي كانوا يذبحون لها في الجاهلية. وتارةً ثالثةً

فيها بتصريحات عن سريلانكا سواءً كانت عن طبيعتها أو شعبها، جاءت من القصائد التي نظمها عندما كان منفيا هناك، مما يشير إلى أنه لم يسجل أي نص شعري يعالج سريلانكا قبل دخوله إليها، وبعد مغادرته منها.

2 - استخدم شاعرنا الاسم القديم لسريلانكا وهو "سرنديب" سيرًا على نهج الشعراء القدماء، بدلا من "سيلان" الذي كان اسما رسميا للدولة حينما كان منفيا فيها، حيث ذهب إلى ذكر كلمة "سرنديب" تسع مرات، معالجًا في أغلبها حنينَه إلى وطنه، وتبرُّمَه من إقامته بسريلانكا، فضلا عن سيطرة ظاهرة التناص شكلاً ومضمونًا على الأبيات، مما يؤثر تأثيرا عميقا في البنية الدلالية، كما هو الشأن في ذكر "كَنْدِيْ" في إحدى الأبيات الشعرية إذ كشف الشاعر عن عدم رضاه عن حياته في تلك المدينة التي قضى فيها سنواته الأخيرة.

3 - نظراً لما امتازت به سريلانكا من طبيعة خلابة، فقد سجّلها البارودي تارةً ضمن قصائده التي حنّ فيها إلى مصر، حيث وصف الطبيعة السريلانكية من جبال ومطر وسيول وشلالات وقوس الغمام ومناخ وغيرها، وتارةً أخرى كان يصف المناطق الطبيعية في قصيدتين مستقلتين، حيث تناول في إحداهما روضة كثيرة الأشجار والمياه والتي قضى فيها أوقات ممتعة مع أصدقائه، ثم وصف في الثانية حديقة فيرادينا وهي أشهر حديقة نباتية، مما يكشف عن إعجاب الشاعر بالمظاهر الطبيعية الخصبة في سريلانكا.

4 - بالنسبة إلى الشعب السريلانكي، فلم نجد أثرا لهم في ديوان البارودي سوى انتقاداتٍ وجّهها الشاعر إليهم حول بعض ثقافاتهم وعاداتهم التي اعتقد بأنها جوانب سلبيةً، إضافةً إلى عيبهم على مظاهر طبيعةٍ خُلقيةٍ وسماتٍ خِلقيةٍ، وربما هذه الناحية ظهرت لدى الشاعر نتيجة معاناته الشديدة من تجربة النفي، وتبرمه من الحياة بسريلانكا.

التوصيات

يوصي الباحث الدارسين ببعض من الاقتراحات:

- إطلاق دراسات تكشف عن الخصائص الفنية التي يتحلى بها ما صبّته أقلام البارودي عن سريلانكا ومعالمها الطبيعية وشعبها.
- العناية بدراسة الأشعار العربية عن سريلانكا، نظمها الشعراء الآخرون، وذلك بقصد الكشف عن خصائص سريلانكا بين دول العالم.
- تخصيص دراسات تقارن ما نظمه الشعراء عن سريلانكا في الآداب المختلفة، لتبرز ملامح سريلانكا وخصائصها، وتبين مواطن التلاقي والاختلاف من جانب الموضوعات والمحتويات.
- عقد مؤتمرات دولية متخصصة في الشعر عن سريلانكا في الآداب مختلفة اللغات، ودعوة الباحثين للاطلاع على أهم السمات والمواضيع التي تناولها الشعراء في قصائدهم عن سريلانكا.

AUTHORS' CONTRIBUTIONS

Conceptualization, methodology, formal analysis, resources, writing—original draft preparation, Mohammed Shareef Mohammed Hafees; resources, writing— review and editing, supervision, Rahmah Binti Ahmad H. Osman. All authors have read and agreed to the published version of the manuscript.

لا يُشْبِهُ الْوَالِدُ مَوْلُودَهُ

مِنْهُمْ وَلا الْمَوْلُودَ مِنْهُمْ أَبُوهْ

يتضح من النصوص السابقة، أن الشاعر تارةً يرى السريلانكيين قبيحي الوجوه رغم أن بلادهم تضم طبيعةً ذات حسنٍ وبهجةٍ، وتارةً أخرى كشف عن عدم رضاه بالحياة مع أناس ذوي بشرة سوداء، بما أن متوسط السريلانكيين من ذوي البشرة السمراء، ولكن هناك سكان ذوي بشرة فاتحة جدًا وذات بشرة داكنة جدًا، مما يدلّ على أن سريلانكا مجتمع غير متجانس وراثيًا، لأنهم ينحدرون من أصول متنوعة، وقد هاجر إليها أشخاص مختلفون بألوان بشرة مختلفة عبر التاريخ (Papiha, Mastana, & Jayasekara 1996)، مما ينفي أحيانًا المشابهة اللونية بين الولد والوالد منهم، وعلى هذا يأتي تفسير ما ذكره البارودي في البيت الثالث، ولكن بعض الشراح ذهب إلى أن الشاعر رمى أهل سريلانكا باختلاط الأنساب، ونفى عن الأمهات الحصانة والعفة، حيث نفى المشابهة التي لا بد أن تكون بين الوالد وولده (al-Baroudi 1998, p. 708).

وكذلك نقف عند بعض النصوص الشعرية التي عبّر فيها البارودي بعض من تعامل معه من أهل سريلانكا على طبيعتهم الخُلقية، مثل ما نجد في الأبيات التالية التي رماهم بغلظ الطباع، وجفاء الخلق، والجهل، وقبح الوجه، كما جرّدهم فيها من الفضل والمعروف، إضافة إلى تشبيهه بعض علمائهم أو رؤسائهم بالبومة التي لا تعرف إلا الصرخة (al-Baroudi 1998, p. 708).

يَغْلُظُ طَبْعٌ مِنْهُمُ فَاقِدٌ

مَزِيَّةَ الْعِلْمِ وَوَجْهٌ يَشُوهْ

منْ أَيْنَ يَدْرِي الْفَضْلَ مَعْدُومُهُ

لا يَعْرِفُ الْمَعْرُوفَ إِلَّا ذَوُوهْ

تَظُنُّ بَعْضَ الْقَوْمِ عَلَّامَةً

وَهْوَ إِذَا يَنْطِقُ هَامٌ يَنُوهْ

إلى جانب ذلك، وجدنا نصوصاً شعرية لم يتأخر فيها الشاعر عن التصريح بتبرمه من الإقامة عند أهل سريلانكا، ولعلّ ذلك عائد إلى شدة شوقه وحنينه إلى وطنه وأسرته وأحبابه في مصر، كما في الأبيات الآتية، حيث وصف فيها من يقيم بينهم من الناس في المنفى بالخسة والحقارة، ومعتقداً أن صلتهم لا يترتب عليها ربح، ولا على فراقهم خسارة، ثم ذكر أنه يشعر بالوحشة عند حضورهم، في حين أنه تطمئن نفسه عند غيابهم (al-Baroudi 1998, p. 655).

بَيْنَ أُنَاسٍ إِذَا وَزَنْتَهُمْ

بِالذَّرِّ عِنْدَ الْبَلاءِ مَا وَزَنُو

لا فِي مَوَدَّاتِهِمْ إِذَا صَدَقُوا

رِبْحٌ وَلا فِي فِرَاقِهِمْ غَبَنُ

أَرَى بِهِمْ وَحْشَةً إِذَا حَضَرُوا

وَطِيبَ أُنْسٍ إِذَا هُمُ ظَعَنُو

الخاتمة

خلصت الدراسة إلى عدة نتائج يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

1 - وجدنا أن سريلانكا قليلة الأثر على الآثار الشعرية لدى البارودي رغم أنه قضى فيها سبعة عشر عاماً، ولعلّ ذلك عائد إلى شوقه الشديد لوطنه وحنينه إلى مصر، مما دفعه إلى تسجيل تجربته الحزينة بكثرة في قصائده، بينما النصوص الشعرية التي أدلى

REFERENCE

Abdullah, U. 2023. The semiotic approach and its application to El -Baroudi's Annual Poem (QalladtuJeeaalma'ali). *Dirasat: Human and Social Sciences* 50(2): 103-115. https://doi.org/10.35516/hum.v50i2.4923.

Abū al-'Alā' al-ma'arrī, A. A. (n.d.). al-Luzūmīyyāt. Cairo: Maktabatu al Khanji.

Abu Bakr, K & others. 2008. Description of animals in Arabic haritage. *Islamiyyat: The International Journal of Islamic Studies*, 30(2008), 75-97. https://ejournal.ukm.my/islamiyyat/article/view/1885.

Azman, C. M. 2021. Ulasan Buku: Syair Arab: Bagaimana menghayati irama dan makna oleh Wan Rusli Wan Ahmad. *Islamiyyat* 43(1): 185-186. https://ejournal.ukm.my/islamiyyat/article/view/48504/11973.

al-'Aqqād, A. M. 1937. Shu'arā' Miṣr wabī'thuhum fī al-Jīl al-māḍī. Cairo: Maktabatu al Nahda al Mesriyya.

Anīs, I. 1952. Mūsīqá al-shi'r. Cairo: Maktabatu al Anjlo Al Mesriyya.

Badawi, M.M. 1971. Islam in modern Egyptian literature. *Journal of Arabic Literature* **2**(1): 154-177. http://www.jstor.org/stable/4182885.

al-Balādhurī, A. 1987. Futūḥ al-buldān. Beirut: Ma'assatu al Ma'arif.

al-Baroudi, M. S. 1998. Dīwān al-Bārūdī. Beirut: Dar al Awdah.

Hafees, M.S.M & Rahma, H.O. 2023. The structure of synthetic parallelism in Arabic poems: Al-Barudi's as a model. *Ijaz Arabic Journal of Arabic Learning* 6(1): 258-270. https://doi.org/10.18860/ijazarabi.v6i1.17979

Haikal, H. 1998. Muqaddimatu Dīwān al-Bārūdī. Beirut: Dar al Awdah.

Hasif, M.M. & Zamri, A. 2011. Book review: A history of Arabic literature. *Islamiyyat: The International Journal of Islamic Studies* 33: 85-88. https://ejournal.ukm.my/islamiyyat/article/view/1835.

al-Ḥudaidi, A. 1990. *Maḥmūd Sāmī al-Bārūdī : shā'ir al-Nahḍah*. Cairo: Maktabatu al Anjlo al mesriyya.

Ḥussain, M. 1987. *Aṭlas Tārīkh al-Islām*. Cairo: al Zahra' li al I'lam al arabi.

Ismā'īl, M. 2014. Kandy ala Khuta Urabi wa al rifaq. https://www.emaratalyoum.com/life/foursides/2014-04-16-1.667496. Retrieved on 1 January, 2023.

Khālideen, K. 2013. Islamic Civilization in South Asia: Islam in Sri Lanka. *Proceeding of the International Symposium: Islamic Civilization in South Asia*. Istanbul: Research centre for Islamic History. 89-103. http://isamveri.org/pdfdrg/D224747/2013/2013_KHALIDEENKMH.pdf.

Marāshidah, A. A. 2009. *Fī al-shi'r al-ḥadīth Maḥmūd Sāmī al-Bārūdī : dirāsah fannīyah*. 1st edition. Jordan: Aalam al Kutub al Islami.

Najāḥ, M. 2012. Ẓāhirat al-Tanāṣṣ fī al-khiṭāb al-shi'rī al-ḥadīth Dīwān 'Awlamat al-ḥubb .. 'Awlamat al-nār anmūdhajan. *Majallat 'ulūm al-lughah al-'Arabīyah wa-ādābihā,* 4(4): 162-174. http://dspace.univ-eloued.dz/handle/123456789/834

Narkas, K., & Mazīdī, M. S. 2013. Shi'r al Manfa wa al Mughtarab lada Maḥmoud Sami al Baroudi. *Majallatu al Jam'iyyah al Ilmiyyah al Iraniyyah li al lugha al arabiyya wa aadabiha* 8(21): 21-40. http://iaall.iranjournals.ir/article_1155_391e4565ce50e1f231ccc2a85ec298e5.pdf

Nizami, K. A. 1994. Early Arab contact with South Asia. *Journal of Islamic Studies* 5(1): 52–69. http://www.jstor.org/stable/26196673.

al-Nuwaihi, M. n.d. *al-Shi'r al-Jāhilī Manhaj fī dirāsatuh wa-taqwīmihi.* Cairo: al Dar al Qawmiyyatu li al tiba'ah.

Papiha, S., Mastana, S., & Jayasekara, R. 1996. Genetic variation in Sri Lanka. *Human Biology* 68(5): 707-737. https://www.researchgate.net/publication/14297881_Genetic_variation_in_Sri_Lanka.

Prakash, A. 2020. Mahmud Sami al Barudi: Reconfiguring society and the self by Terri DeYoung (review). *Al-Arabiyya: Journal of the American Association of Teachers of Arabic*, 53, 137-139. https://muse.jhu.edu/article/773491.

Peiris, G. H., & Arasaratnam, S. 2022. *Sri Lanka*. https://www.britannica.com/place/Sri-Lanka. Retrieved December 26, 2022.

Royal Botanical Gardens, Peradeniya. 2022. https://www.botanicgardens.gov.lk/service/royal-botanic-gardens-peradeniya. Retrieved on March 10, 2023.

al-Shafi'i, M. I. 1985. *Dīwān al-Shāfi'ī.* Cairo: Maktabatu al Kulliyyat al Azhariyyah.

Sinnatamby, J. 1968. *Ceylon in Ptolemy's Geography*. 1st edition. Colombo: n. p.

Suwailim, A. 1997. *Al Baruodi Faris al Shu'ara*. 1st edition. Cairo: Al Dar al mesriyyah al lubnaniyyah.

al-Ṭayyib, A. 1989. *al-Murshid ilá fahm al-shi'r al-'Arabī waṣinā'athihi*. Kuwait: Matba'atu Hukumatu Kuwait.

Yaacob, A. H. 2007. A Brief History of the Theory and Concept of Islamic Literature in Malaysia. *Islamiyyat* 19: 3-29. https://ejournal.ukm.my/islamiyyat/article/view/1899.

Yogasundaram, N. 2008. A Comprehensive History of Sri Lanka from Prehistory to Tsunami. second edition. Colombo: Vijitha Yapa.

Yūsuf, K. 1994. Shiʿru al Bārūdi Baina al Turāthi wa al Muʿāṣira. In *Dawratu al Bārūdi: Abḥath al Nadwa wa Waqāʾiʾiha,* edited by Mu'assasat 'Abd al-'Azīz, 15-130. Kuwait: Muʾssatu Jaʾizatu ʿAbdul ʿAzīz.

Zulkarnain, M. 2000. Identity crisis facing Islamic literature. *Islamiyyat* 21: 33-53. https://ejournal.ukm.my/islamiyyat/article/view/2567